بسم الله الرحمن الرحيم

[تفريغ المجلس ١٤]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا- أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

[الحديث العاشر "إن الله طيب ..."]

ذكر الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الأربعين الحديث لعاشر، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا"، وَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ" ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟". رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:١٠١٥].

هذا الحديث تفرد بروايته الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ وقد رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه أيضا الترمذي، وجاء بمعناه من طريق سعد بن أبي وقاص، وإن كان في سنده ضعف، والحديث صحيح فهو عند الإمام مسلم في صحيحه.

[اسم الله جل جلاله (الطّيب)]

يقول صلى الله عليه وسلم (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) فمن أسمائه جل جلاله الطيب، والحديث صريح في إثبات الاسمية لله جل جلاله حيث قال صلى الله عليه وسلم (إن الله طيب) ومن ضوابط إثبات الاسم لله جل جلاله أن يصح ثبوتا في الكتاب أو في

السنة، أن تثبت التسمية لله ﷻ في الكتاب أو في السنة، ودلالة هذا الاسم على المعنى الذي فيه كمال، وكونه يتضمن الكمال، والتمام، والأمر الثالث أن يرد بما هو صريح في التسمية به، فهذه ثلاثة ضوابط في إثبات اسم الله ﷻ: أن يرد في نص من كتاب أو سنة، وأن يكون دالا على المعنى الذي فيه الكمال والتمام، وأن يرد بسياق يدل على التسمي به، وأن الله ﷻ تسمى بذلك.

ومثله هنا (إن الله طيب)، فمن أسمائه ﷻ الطيب، وهو بمعنى المنزّه والمقدس والمترفّع والمتعالي عن كل نقص، والمبرَّء من كل عبث ونقص، فهذا معنى اسم الله جل وعلا الطيب (إن الله طيب)، فدل الحديث على إثبات اسم الله ﷻ الطيب، ومعناه المنزه والمقدّس، والمبرّء من كل عيب ونقص وعبث ونحو ذلك، وفي هذا المعنى قوله ﷻ {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم}النور٢٦، ليس كالوصف السابق في قوله ﷻ {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ}النور٢٦، أما الصنف الثاني {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ} أي مبرّؤون من الأنجاس والأدناس والخبث المذكور في الصنف الأول في آية سورة النور وفيها {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ}.

فـ(إن الله طيب) اسم من أسماء الله ﷻ والمراد والمعنى أنه منزه ومقدس ومبرَّأ عن كل نقص وعيب وعبث وما فيه نقص، أسماء الله ﷻ تدل على هذا المعنى كثيرا، فالطيب يدل عليها، و(السلام) يدل عليها، و(القدوس) يدل على هذا المعنى أيضا، وكان كل اسم قد يختص بما يخصه عن غير الأسماء، لكن هذه الأسماء تجتمع في شيء من هذا المعنى وهو تنزيه الله ﷻ وتقديسه، وأنه مبرّأ من كل نقص وعيب وعبث، (القدوس، الطيب، السلام، السبوح) ونحوها من الأسماء.

[وصف الله لعباده بالطيب]

(إن الله طيب)، أيضا جاء من الله ﷻ هذا الوصف لعباده المؤمنين، فقال {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}النور٢٦، وقال ﷻ {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ}الحج٢٤، {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ} أي أن أهل الإيمان هُدوا إلى القول الطيب، الذي لا خبث فيه ولا لغو فيه، ولا بذاءة ولا فحش فيه، وأيضا إذا دخل أهل الجنة الجنة

قيل لهم {طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}الزمر٧٣، طبتم أي طاب مقامكم وحَسُن، وطاب مدخلكم والمكان الذي أورثتموه {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}الزمر٧٣.

وجاء في الأثر –وإن كان فيه ضعف- (من زار أخا له لله يقال له طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلا)[١]، وفيه ضعف.

[لا يقبل إلا طيبا]

قال ﷺ (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) فُسّر ذلك بأنه لا يقبل إلا طيبا أي من الصدقات، وهذا لا شك ولا ريب يشمله الحديث، لأن النبي ﷺ قال (إذا تصدَّق الرَّجلُ بصدقةٍ من كَسْبٍ طيِّبٍ – ولا يقبلُ اللهُ إلَّا طيِّبًا – أخذها اللهُ بيمينِه، فيُربِّيها لأحدِكم اللُّقمةَ والتَّمرةَ، كما يُربِّي أحدُكم)[٢] أي صغير الدواب، صغير الإبل أو صغير الحصان، فيترعرع حتى يصير تاما، وكبيرا، فمثل ذلك يربي وينمي الله ﷻ لعبده تلك الصدقة اليسيرة التي يتصدق بها، ولكن من طيب ماله (إذا تصدَّق الرَّجلُ بصدقةٍ من كَسْبٍ طيِّبٍ) جملة اعتراضية (ولا يقبل الله إلا طيبا) قال ﷺ ، فالذي يقبله الله ﷿ هو الطيب، وكونه من الصدقات هذا جاء في الحديث الذي ذكرته، حديث أبي هريرة في الصحيحين، لكن حديث النبي ﷺ (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) يعم الجميع، يعم الصدقات ويعم الأقوال ويعم الاعتقادات كما قال ﷿ {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ }الحج٢٤ وقال ﷻ {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}فاطر١٠، وقال ﷻ {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ}النور٢٦، لطيب قلوبهم واعتقاداتهم وأعمالهم.

[طيّب الباطن والظاهر]

(فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) من الأقوال والأعمال والاعتقادات، وما ليس بطيب فلا يقبله الله ﷿، وإنما يكون الأمر طيبا إذا كان خالصا لوجه الله ﷿، وعلى وفق سنة رسول الله ﷺ، ماكان من الأعمال لابد أن يكون خالصا لله ﷿ وأن يكون على سنة رسول الله ﷺ، ما كان من الاعتقادات

[١] أخرجه الترمذي (٢٠٠٨) واللفظ له، وابن ماجه(1443) وأحمد (٨٥١٧)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (٣٤٥)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (9027)قال الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٠٨) حسن، وقال في تحقيقه لرياض الصالحين (٣٦٦) حسن لغيره.
[٢] أخرجه ابن خزيمة في ((التوحيد)) (١/١٤٨)، والبيهقي في ((شعب الإيمان))(3476) ، ونحوه في الصحيحين.

لا بد أن يخص بها ﷻ ، فالإخلاص يكون لله ﷻ والتوكل على الله، والخشية لله، والخوف من لله، والاستعانة بالله، والاستغاثة بالله، وكل أعمال القلوب يخص بها الله تبارك وتعالى، فهو لا يقبل من أعمال القلوب إلا ماكان طيبا، لا يقبل المكر والخداع والبغض والحقد والكراهية والحسد والضغينة، وأن يمتلئ القلب بالسوء للمسلمين والناس، هذا لا يقبله الله، وإنما يقبل ماكان طيبا، البغض للكفار، أن تبغض الكافر لكفره هذا مما يقبله الله ﷻ ، وأن تحب المؤمن لإيمانه، ولعمله الصالح

وأيضا في الأعمال لابد أن يكون خالصا لله عز وجل، وعلى وفق سنة رسول الله ﷺ، وما كان من الأمور المالية لابد أن يكون حلالا، وإلا لا يقبل (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا)، ومثله أيضا من الأعمال، ولا يقبل من القول إلا الطيب، ولهذا قال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها لمّا مر اليهود فقالوا: السام عليك يا محمد، فقالت (وعليكم السام واللعنة..) فقال (مه يا عائشة قد رددت عليهم فقلت: وعليكم) فإن قالوا: السلام فعليكم السلام، وإن قالوا: السام أي دعاء، فهو مردود عليهم، (ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه)[1]، ولهذا قال ﷺ (ليس المؤمن بالفاحش البذيء)[2] أو قال (ليس المؤمن بالبذيء)، (إن الله يبغض الفاحش المتفحش)[3]، ولم يكن يُسمع منه ﷺ إلا الكلام الطيب، الحسن، الذي تستمرئه الأسماع، وتستلذه القلوب، وتلين إليه وتصغي إليه، فالله لا يقبل إلا طيبا، فالواجب على المؤمن أن يجعل طيبا كل ما يكون من اعتقاده، أو من عمله أو من قوله أو من ماله، لا بد أن يكون كذلك.

(إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) فما كان من صدقات الحرام لا يقبله الله ﷻ إلا ما كان من صدقة الحلال، فإن كانت صدقة الحرام لا تقبل لأنها حرام ليست بطيب، والذي يقبل ﷻ هو الطيب كما قال تبارك وتعالى {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ}الأعراف١٥٧، فالمال الحرام لا يُقبل صدقة، ولا يقال: تصدق به، وإنما: تخلصَ منه.

[المال الحرام وأنواعه]

[1] أخرجه البخاري (٦٠٣٠)، ومسلم(2165) ، والترمذي (٢٧٠١)، وابن ماجه (٣٦٩٨)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١١٥٧١)، وأحمد (٢٥٠٧٣) ، وابن خزيمة (٥٧٤)

[2] نحوه أخرجه الترمذي (١٩٧٧)، وأحمد (٣٨٣٩)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء))(4/235)

[3] أخرجه البخاري في ((الأدب المفرد)) (٤٦٤)، والبيهقي(21318) قال الألباني في الجامع الصحيح (١٣٥) صحيح.

وهذا المال الذي هو المال الحرام، يكتسب وصف الحرام بأحد الأمرين إما لذاته وإما لغيره أي لوصف عارض عليه.

١= فما كان حراما لذاته أي لوصف عارض عليه، فما كان حراما لذاته فهذا يتخلص منه، ولا يقال تصدق به لأنه مال خبيث، كالمال الذي يكتسبه من بيع الحرام، بيع الخمر، المخدرات، متاجرة المرأة بعرضها، البغي كما سماها النبي ﷺ (مهر البغي حرام)[1]، وفي رواية قال (مهر البغي خبيث)، فسمى هذا المهر خبيثا حراما، هذا لا يقبل، الربا حرام لذاته أيضا لا يقبل، فما كان حراما لذاته لا يُتصدق به، لا يقول: تصدقت بكذا، وإنما يتخلص منه، يتخلص من هذا المال، هل يحرقه أو يرميه في البحر؟ إضاعة المال منهي عنها، إذن ماذا يفعل به؟ يتخلص منه ويجعله في الأماكن العامة، التي لا يستفيد منها واحد بعينه، بل يستفيد منها عامة الناس، يعبّد به طريقا، أو مسلكا غير معبّد، أو يصلح به عين ماء في طريق الناس، أو يزيل عقبة من الطريق، أو نحو ذلك.

٢= أما ماكان حراما لغيره أي لوصف قام به، فهل يتصدق به؟ هنا عندنا حالتان، يتصدق به عن نفسه، هذا لا يجوز، إذا تصدق به عن نفسه، إنسان اكتسب مالا حراما ليس لذاته ولكن لوصفه، مثل إنسان يغش الناس، يبيع مثلا سلعة في علب على أساس أن العلبة فيها ١٠٠٠ قطعة، فإذا بها فيها ٨٠٠ أو ٩٠٠، فيبيعها على أن فيها ١٠٠٠، يقول للناس ولا يعدّون، الواحد يأتي يأخذ ١٠٠٠ علبة، والعلبة فيها ١٠٠٠ قطعة، يقول هؤلاء لا يحسبون ويضرر بالناس، يخدعهم، أو يطفف في الميزان، أو يغش أنواع الغش الأخرى، فلاشك أنه ها هنا قد اكتسب مالا حراما، يعني الكرتون الذي يبيعه على أساس أن فيه ١٠٠٠ قطعة، وهي فيها ٨٠٠ قطعة، فماله مثلا ٨٠ وليس ١٠٠ وهو يُعطى ١٠٠ دينار، على أساس أن الكارتون فيه ١٠٠٠ قطعة، وليس فيه إلا ٨٠٠، فحقه ٨٠ دينار، صارت ٢٠ دينارا أخذها حراما، ويتصدق بها، ومثل هذا في الأعمال الأخرى وهي كثيرة، ولربما ينجز المشاريع التي فيها الخير للمسلمين، كما يفعل بعضهم، يبني مساجد أو مدارس، يعتمر يحج، يحجج غيره، ويرى أنه يتصدق بهذا المال، المال حرام ليس ماله، (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) وهذا مال حرام، وهذا غاش للناس، وغاش لنفسه من حيث لا يدري، وقد جاء في بعض الأحاديث، وإن كان فيها شيء من الضعف، لكن جاء من طرق (أن من اكتسب مالا حراما فتصدق

[1] أخرجه أبو داود (٣٤٨٢)، وأحمد (٣٣٤٥)، والطبراني (١٠٢/١٢) (١٢٦٠١)، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٠٦) "إسناده جيد رجاله ثقات".

به فوزره عليه)[١]، على المكتسب له من الحرام، ولهذا شدد بعض العلماء في زمن مضى، فيما كان يبنيه الأمراء والحكام من أربطة، ومدارس، أو مساجد، قالوا: هؤلاء يأخذون هذا المال من غير حلّه، وبطريقة حرام، لا ينفعه مثل هذا التصدق، وفي الإنكار عليه آثار كثيرة عن أئمة العلم.

ونُقل عن بعضهم أنه لا بأس بذلك كما نقل عن الإمام أحمد وغيره، ويوجّه بين الأمرين أن من قال إنه لا يُقبل منه حيث أخذ هؤلاء الأمراء المال من غير حلِّه بطرق محرّمة.

أما إذا كان الأخذ من طريق حلال كأن يؤخذ من بيت المال وقصد بذلك نفع المسلمين بهذا المسجد، أو بهذا الرباط، أو المدرسة، الرباط هو مكان يعد يجتمع فيه الطلبة للتعلم، وكانوا قديما يجعلونه على الثغور، فيطلب فيه العلم طلبته، أيضا ويرابطون على حدود المسلمين والدولة الإسلامية، فإن كان أخذ من حلِّه فإنه يعدّ حلالا.

هذا الأمر الأول، فإذا أخذ المال من الحرام لغيره وتصدق به عن نفسه لا يُقبل منه، ولا يقال أيضا هو صدقة لصاحبه لأنه لا يدري به صاحبه ولا نوى ذلك، ومثل ذلك من غصب مالا، الغاصب، ومن يسرق، ومن يختلس ويخون ويغدر فيأخذ مالا، إنسان يعمل في الدولة، ويكون مسؤول خزينة المال، فهو الذي يقبض ويعطي، ودون انتباه صاحب المال يأخذ من ماله، وهذا يسمى اختلاسا، يسمى خيانة، لأنه أخذ مالٍ خفية ممن أمّنه وأتمنه فهي خيانة، وقد قال ﷺ في المنافق (وإذا ائتمن خان)[٢] وقال ﷺ (أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك)[٣]، فيأخذ شيئا فشيئا من هذا المال.

أو الغاصب الذي يتسلط على غيره ويأخذ المال منه قوة، أو السارق الذي يأخذ المال خفية من حرز مثله، أو الناهب الذي يأخذ المال بقوة ويفر، -خلاف الغاصب لا يهرب، بجبروته وقوته وتسلطه- فهذا إذا تاب ورجع وأناب هل يصح له أن يتصدق بهذا المال؟ نقول يتصدق به على نية صاحبه، وبه قال جمهور العلماء، فإن جاء صاحبه يوما من الدهر، أو اطّلع على ذلك أو أخبره هو، بعد مضي زمان أخبره أنه قد خصم منه مالا، أو سرقه، وكذا، وقد تصدق به عليه، فيقول هذا صاحب المال الحق: أنا لا أقبل

---

[١] أخرجه ابن حبان (٣٢١٦)، والحاكم (١٤٤٠)، والبيهقي(7491) (ومن جمع مالًا حرامًا ثمَّ تصدَّق به لم يكُنْ له فيه أجرٌ وكان إصرُه عليه) قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٩) "حسن".
[٢] أخرجه البخاري (2749) ومسلم (٥٩).
[٣] أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي(1264)

ترد لي مالي!، وجب عليه رد المال، وتتحول تلك الصدقة إلى من تصدق بها (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا).

[الأصل في أمر الله للرسل أنه كذلك أمر للمؤمنين]

(وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين)، فكما أمر الله عز وجل المرسلين بالأكل من الطيب أمر كذلك المؤمنين بالأكل من طيب المال، فقال جل وعلا {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}المؤمنون٥١، (يا أيها الرسل) خطاب للمرسلين، (كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) فأمرهم أن يأكلوا من طيب المال، والمال الطيب هو الطاهر الحلال، وهو الذي يكتسب حلالا ليس حراما، والحرمة في المال إما لما فيه من الربا، أو لما فيه من الغرر الجهالة، أو ماكان سببا لأحدهما، سببا للربا والغرر والجهالة، هذه هي حرمة المال.

ويدخل تحت هذه الأجناس أمور كثيرة، {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً}المؤمنون٥١، كأن فيه إشارة إلى أن الأكل من الحلال سبب من أسباب العمل الصالح وقبوله، وهذا سيأتي بيانه في آخر الحديث.

[هل يسمى الحرام رزقا؟!]

(وأمر المؤمنين فقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}البقرة١٧٢) تأكل من طيب الرزق، ليس من حرامه، وطيب الرزق هو الحلال، وهل يسمى الحرام رزقا أو لا يسمى رزقا؟ قال ﷻ {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ}يونس٥٩، فهل يسمى الحرام رزقا أو لا يسمى؟، بعضهم يسميه رزقا، ومن العلماء من قال الحرام لا يسمى رزقا.

ورأي ابن القيم هو الأقوى فيما يظهر، وهو التفصيل، فبالنظر إلى أنه لا يكون شيء في الدنيا إلا بإذن الله ﷻ فمن هذا النظر رزق، وهذا نظر من الناحية الكونية، إلى الأمر الكوني، أما من حيث النظر من الناحية الشرعية، فالذي شرع لنا الأكل منه هو الحلال، فتأكل من الحلال، ولهذا فالحرام ليس رزقا، لأنه لا يجوز لك أن تأكل منه وإنما تأكل من الحلال، لكن باعتبار الأمر الكوني، فهو من رزق الله

ﷻ، لأنه قال {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً}البقرة٢٩، {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ}الجاثية١٣، وهو الذي خلق كل شيء، فمن هذا الاعتبار هو رزق، كما قال ﷻ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}فاطر٣، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) خطاب للناس، ومن هؤلاء الناس الكفار، وكسبهم يكون بالحرام، حتى بعض المؤمنين، فقال (مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم) حتى هذا الرزق الذي يأتيك وإن كان من حرام، أو كان رزق الكفار من حرام، أو كان يكتسب من طريق الحرام، فسماه الله رزقا، باعتبار الأمر الكوني وأنه لا يكون شيء في الكون إلا بإذن الله عز وجل، لكن باعتبار الأمر الشرعي الواجب عليه الأكل من الحلال، فالحرام ليس رزقا لنا لا يجوز أكله، كما قال ﷻ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}البقرة١٧٢، من الحلال {وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}البقرة١٧٢.

[من أسباب استجابة الدعاء]

(ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر) هنا ذكر ما هو من أسباب إجابة الدعاء، من أسباب إجابة الدعاء كونه مسافر، وقد قال ﷺ (ثلاث تستجاب دعوتهم) وذكر منهم المسافر، قال (أشعث أغبر) أيضا من أسباب إجابة الدعاء أن يصيب الداعي أثناء عمله الشعث والغبر، وقد قال ﷺ (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا عشية عرفة يباهي بالحجيج الملائكة يقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا، ماذا يريدون، أشهدكم أني قد غفرت لهم)[1]، والدعاء مستجاب عشية عرفة، وقال ﷺ (رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبرّه)[2].

(ثم ذكر الرجل) وذكر الرجل خرج مخرج الغالب، ومثله المرأة، وإن كان لمرأة سفرها لابد فيه من محرم، (أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء) وهذا من آداب الدعاء وهو رفع اليدين إلى السماء، والدعاء كما يقول أهل العلم في رفع اليدين أنواع فهناك الابتهال، وهناك التضرع، وهناك مطلق الدعاء، فمطلق الدعاء أن يرفع كفيه فيضمهما ويجعلهما قبل وجهه، ويدعو، كما جاء في صفة ذلك عن النبي ﷺ، في حديثه عند أبي داود والنسائي وغيرهما، والابتهال هو رفع اليدين أكثر، طلبا ودعاء لله ﷻ كما جاء في

---

[1] خرجه ابن خزيمة (٢٨٤٠)، والبيهقي في ((شعب الإيمان))(4068) ، قال الألباني في صحيح الجامع ١٨٦٨ "صحيح"
[2] أخرجه البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (١٦٧٥)، وأبو داود (4595)، والنسائي (٤٧٥٥)، وابن ماجه (٢٦٤٩)، والترمذي(3854) ، وأحمد (١٢٤٩٨) ، والطبراني في ((المعجم الأوسط)).(861)

قصة النبي ﷺ في غزوة بدر كان يبتهل لربه ويرفع يده حتى سقط رداؤه، فقال أبو بكر رضي الله عنه (كفاك مناشدة ربك يا رسول الله، فإنه سينجز لك ما وعدك)[1] أو كما قال رضي الله عنه، وأما التضرع فهو كالابتهال مع زيادة إظهار الذل والمسكنة والخضوع لله سبحانه وتعالى.

[التوسل بأسماء الله عند الدعاء]

(أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب) ومن أسباب إجابة الدعاء التوسل لله جل جلاله بأسمائه، ومن أعظم الأسماء اسم (الرب) كما قال الإمام مالك رحمه الله لما قيل له: أيدعو أحدنا فيقول: يا سيدي، قال **(يدعو بما دعا به الأنبياء: يارب)** {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمِناً}البقرة١٢٦، وقال نوح {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ}نوح٢٨، وأيضا أيوب دعا ربه باسم الرب، وكذا غيرهم من الأنبياء، فهذا أيضا من أسباب استجابة الدعاء، التوسل إلى الله جل جلاله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وندائه تبارك وتعالى بأسمائه، ومن أفضل ما يتوسل بأسماء الله جل جلاله في الدعاء هو اسم (الرب) لما يدل على معنى الملك والسؤدد، والعظمة، والتدبير، والتربية، والعناية، فالربّ هو الملك السيد المربِّي، هذا معناه في اللغة.

(فيقول يارب) يا خالقي يا رازقي يا منشئي يا مدبر أمري يا مربِّي، وقد قال جل جلاله {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}الفاتحة٢، فالله تعالى ربي العالمين كما قال العلماء، التربية العامة للجميع، والتربية الخاصة لأهل الإيمان، فذكر هاهنا أسباب استجابة الدعاء: السفر، الشعث والغبر، رفع اليدين إلى السماء، التوسل بأسماء الله وصفاته العلى وبخاصة اسمه تعالى (الرب)، فهذا أدعى لاستجابة الدعاء: يارب، يارب.

لكن غفل هذا الداعي عن مانع يمنع استجابة الدعاء، وهو الأكل الحرام، فكما هناك أسماء يستجاب بها الدعاء، هناك موانع تمنع استجابة الدعاء، ومن الحرام، وهو من أعظم الأسباب.

قال (ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه، وغذّي بالحرام، فأنّى يستجاب له؟)، (أنّى) استفهام إنكاري، استفعال، كيف يستجاب لهذا؟ يأكل الحرام، يتغذى ويغذّي بالحرام، ويشرب الحرام، ولا يعني أنه يتغذى بالحرام ويشرب الحرام أن الأكل للحرام، يشمل هذا، أن يأكل الحرام كالخنزير أو يشرب

[1] أخرجه مسلم (1763)

الحرام كالخمر، ويشمل أن يأكل ما اكتسبه بالحرام، أن يشتري لحما أو طيبا من المطعومات والمشروبات لكن بمال حرام.

(فأنى يستجاب له) فكيف يستجاب لهذا الداعي؟ (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) فلا يقبل إلا الطيب، وهذا ليس طيبا في ماله وقوله واعتقاده وعمله، ولهذا قال ﷺ في الحديث (أيما لحم نبت من حرام) أو قال (من سحت فالنار أولى به)[1]، والحديث له طرق حسنة، (أيما لحم) أو عظم (نبت من سحت) أو قال (من حرام فالنار أولى به).

فدل الحديث على مجموعة من الفوائد:

أولها: إثبات الأسماء لله عز وجل، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة، فالأسماء ثابتة لله ﷻ وهي حسنى بالغة في الحسن غايتها، فالله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى، ومن أسمائه الطيب، ومعنى الطيب المتنزه والمتقدس والمتعالي والمبرّأ من كل نقص وعيب وعبث.

وأن الله ﷻ من الأعمال ما يقبلها ومنها ما لا يقبلها، وأن العمل الذي لا يقبله الله ﷻ ما كان فيه وصف معين، أو أوصاف معينة، ومن الأوصاف التي لا يقبل الله ﷻ العمل إذا قامت به أن لا يكون طيبا، يكون خبيثا حراما، وأن الله ﷻ لا يقبل غير الطيب سواء كان من الأعمال أو الاعتقاد أو القول.

وأن الله عز وجل كما أمر الرسل بالأكل من الطيب، فقد أمرنا بالأكل من الطيب أيضا، وأن الله ﷻ إنما أمر بالأكل من الطيب فلا يجوز أكل الحرام، إلا عند الضرورة والاستثناء الوارد في القرآن، وأن كل ما كان من حلال أو حرام فهو رزق من باب أن الله ﷻ خلقه وأوجده، باعتبار الأمر الكوني، وأما من الناحية الشرعية فلا يسمى رزقا لأننا مأمورون بالأكل من الحلال.

ومنها أن الدعاء مرغّب فيه، ومنها أن أحوج ما يكون العبد في دعائه لربه في حالة ضعفه، كالسفر.

ومن الفوائد أن الدعاء له أسباب يستجاب بها، وأسباب تمنع من استجابة الدعاء.

[1] أخرجه أحمد (١٥٢٨٤)، وعبد بن حميد في ((المسند)) (١١٣٦)، والحارث في ((المسند))(618) والترمذي (٦١٤)

ومن الفوائد أن من أسباب إجابة الدعاء السفر، والشعث والغبر، وإطالة السفر أيضا، ومد اليدين ورفعهما عند الدعاء، والتوسل إلى الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وخاصة التوسل باسمه (الرب) ﷻ.

وأن من موانع استجابة الدعاء الحرام، سواء كان في المأكل أو المشرب، أو الملبس، أو غير ذلك.

ومن الفوائد النهي عن الحرام، والأمر على الاقتصار على ما أحله الله ﷻ.

هذا ما يمكن ذكره من فوائد الحديث، والله تعالى أعلم.